الظلم ودوافعه وأسبابه

د. عبد عطا الله محمد

قسم علوم القرآن / كلية التربية / جامعة الأنبار

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء والمرسلين سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين وبعد،

فموضوع الظلم هو من الموضوعات المهمة في حياة الناس، وذلك لأن الظلم ربما يمارس بعلم أو بغير علم، هذا في حال عدم معرفة الظلم معرفة دقيقه ولأن عواقبه وخيمة جداً على الظالم في الدنيا قبل الآخرة ووجب على المسلم أن يعرف ما الظلم؟ هذا الشيء الذي طبعت وجبلت عليه النفس البشرية كالشح والخوف وحب التملك وغيره، والذي يؤدي به إلى العذاب الأليم إذ لم يحسن التصرف مع هذه الفطرة البشرية وهذا المرض الخفي أحيانا يدخل في دقائق الأمور في حياة الناس الخاصة والعامة ومختلف جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والتربوية وغيرها ربما يقع هذا على العاقل وعلى غير العاقل فمجالات وقوعه تكاد تنحصر، ورأيت أن أكتب في هذا الموضوع لأ نه من المواضيع المهمة وكون الظلم قد استشرى في هذه الأمة. وكان لا بد من التعرف عليه وعلى إشاراته وإماراته التي تكون في الشخص فيكون من الظالمين. وقد قسمت البحث إلى ثلاثة مباحث تناولت في المبحث الأول. تعريف الظلم في اللغة مع ذكر معاني الظلم ودوافعه وأسبابه.

وتناولت في المبحث الثاني عواقب الظالمين في الدنيا. وتناولت في المبحث الثالث. عواقب الظالمين في الآخرة.

ثم ختمت البحث بأهم النتائج التي توصلت إليها من خلال هذا البحث.

المبحث الأول
تعريف الظلم ودوافعه وأسبابه

تعريف الظلم لغة:

جاء في لسان العرب: (الظلم وضع الشيء في غير موضعه– وأصل الظلم الجور ومجاوزة الحد ويقال: ظلمه يظلمه ظلما ومظلمة، فالظلم مصدر حقيقي وهو ظالم وظلوم والظلمة هم المانعون أهل الحقوق حقوقهم. والظلامة ما تظلمه. وهي المظلمة وتظالم القوم ظلم بعضهم بعضاً) [1].

وذلك لأنه يجمع كل ما تقدم من معاني للظلم ومما سبق يتبين للباحث أن الشرع الشريف لم يرسم حدا خاصا به للظلم مما ينفر منه الإنسان طبعا وعقلا فلا تمتاز به ملة دون أخرى ولا يقال: إ ن الظلم فاشل وأهل الظلم لا

[1] لسان العرب للإمام العلامة أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور /دار صادر /بيروت /٢٦٦/١٥ مادة. (ظلم)

يفهمونه كذلك ، بل انهم يفهمونه كذلك لو دفع عليهم وكل مسيء يلمس لنفسه ما يسوغ إساءته فلا يخرج التسويغ عن معنى الظلم المجرد عند الإنسان عقلا وطبعا.

معاني الظلم

١- الظلم بمعنى الشرك: كما في قوله تعالى (وَإِذْ قَالَ لُقْمَانُ لِابْنِهِ وَهُوَ يَعِظُهُ يَا بُنَيَّ لا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ) ٢ وقوله تعالى: (الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ) ٣

فسره رسول الله (صلى الله عليه وسلم)بالشرك بقوله (صلى الله عليه وسلم) (ليس بالذي تعنون ألم تسمعوا ما قال العبد الصالح إن الشرك لظلم عظيم) ٤

٢- غير شرك: ومنه قوله تعالى (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ) ٥

وذلك فيمن اخرج مطلقته من بيتها قبل أن تنقضي عدتها اعتبره الشرع ظالما لها.

ومنه قوله تعالى (ثُمَّ أَوْرَثْنَا الْكِتَابَ الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا فَمِنْهُمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ بِإِذْنِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ) ٦

ومنه قوله تعالى (وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ وَلا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنْ الظَّالِمِينَ) ٧ يعني ظالمين أنفسكما بخطيئتكما.

٣- الظلم بمعنى النقص: قال تعالى (إِلاَّ مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحاً فَأُوْلَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلا يُظْلَمُونَ شَيْئاً) ٨ أي لا ينقصون شيئا من أعمالهم. قوله تعالى (كِلْتَا الْجَنَّتَيْنِ آتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِمْ مِنْهُ شَيْئاً)٩ أي لم ينقص منه شيئا.

٤ -الظلم بمعنى جحود القران الكريم وغيره من الكتب السماوية الأخرى: وتكذيبهم للأنبياء والمرسلين وما جاءوا به من المعجزات. كما في قوله تعالى (فَأُوْلَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنفُسَهُمْ بِمَا كَانُوا بِآيَاتِنَا يَظْلِمُونَ) ١٠ وقوله تعالى (ثُمَّ بَعَثْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَإِهِ فَظَلَمُوا بِهَا فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) ١١

---

٢ سورة لقمان الآية ١٣

٣ سورة لقمان الآية ١٣٢

4 مسند أبي عوانه يعقوب بن إسحاق الاسفرابيني ت٣١٦ دار المعرفة ط١ –١٩٩٨تحقيق ايمن بن عارف الدمشقي ٧٣/١ رقم الحديث ٢١٢.

5 سورة الطلاق آية ١.

٦ سورة فاطر أية ٣٢.

٧ سورة البقرة آية .٣٥

٨ سورة مريم آية /٦٠

9 سورة الكهف آية/ ٣٣

١٠ سورة الأعراف / آية ٩

11 سورة الأعراف آية / ١٠٣

الظلم بمعنى السرقة:قال تعالى (فَمَنْ تَابَ مِنْ بَعْدِ ظُلْمِهِ وَأَصْلَحَ) [12] يعني سرقته بعد أن ذكر حد السرقة في الآية التي سبقتها وهي قوله تعالى:(وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا)

[13] وقوله تعالى: (قَالُوا جَزَاؤُهُ مَنْ وُجِدَ فِي رَحْلِهِ فَهُوَ جَزَاؤُهُ كَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)[14] أي السارقين.

٥- الظلم بمعنى البغي: قال تعالى (إِنَّمَا السَّبِيلُ عَلَى الَّذِينَ يَظْلِمُونَ النَّاسَ وَيَبْغُونَ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ)[15] وقوله تعالى(لا يُحِبُّ اللَّهُ الْجَهْرَ بِالسُّوءِ مِنَ الْقَوْلِ إِلَّا مَنْ ظُلِمَ وَكَانَ اللَّهُ سَمِيعاً عَلِيماً)[16] أي الذين إذا أصابهم بغي من المسلمين أنفسهم انتصروا عليهم بالسيف وإذا بغي عليهم باغ كره أن يستذلوا لئلا يجترئ عليهم الفساق.[17]

دوافع الظلم وأسبابه

الإنسان طاقة حيوية وأخرى عقلية وهاتان الطاقتان تمثلان قوام شخصية الإنسان واعظم سر للخالق العظيم في طاقة الإنسان العقلية انه جعلها مبنية على عنصر مهم جدا هو حفظها للمفاهيم التي تتلقاها عن الأشياء الحية والجامدة بحيث تمثل قدرة العقل على إعطاء حكم واضح على كل شيء وكل فعل يقوم به الإنسان اتجاه ذلك الشيء ثم إنه جعل الطاقة الحيوية عبارة عن تحسس الإنسان وكل الكائنات الحية للأشياء التي يمثل وجودها حفظها للحياة إلى الأجل الذي أراد الله سلبا أو إيجابا ولهذا فان كل كائن حي تتكون عنده فطريا دوافع إلى أو عن كل ما حوله والدوافع إلى الأشياء تسمى دوافع الإشباع وفي هذه الناحية يلتقي الإنسان مع كل الكائنات الحية ثم يتميز الإنسان السوي بأنه لا يستطيع أن يلبي دافع الإشباع الابعد استشارة العقل ليعطي مفهومه عنه فارتباط دافع الإشباع الحيوي بالمفهوم العقلي عند الإنسان السوي ارتباط آلي وهذا الارتباط يسمى الميل وقوة ارتباط الدافع بالمفهوم يترتب عليه قوة الشخصية وضعفها أكبر مشكلة يعانيها الإنسان منذ اقدم عصوره تتلخص في زاويتين إحداهما انه غالبا ما يتلقى اكثر من مفهوم عن الشيء الواحد (مفهوم يحدده الله له) ومفهوم يمليه الشيطان إلى آخره.

وغالبا ما تتناقض هذه المفاهيم مما يؤدي إلى اضطراب الإنسان سلوكيا بحيث يحرم الشيء في لحظة ويبيحه في لحظة ويمنع الفعل آن ويجيزه في آن آخر والزاوية الثانية أن دوافع الإشباع في عمر الإنسان المبكر(مرحلة الشباب) وفي ظروف خاصة تكون قوية جدا مما يشكل ضغطا هائلا على العقل الذي يضعف عن المقاومة ويلتمس المسوغات للفعل الممنوع تحت ضغط الحاجة فإذا أشبعت. جره ذلك إلى الندم والحسرة على تفريطه

[12] سورة المائدة آية / ٣٩

[13] سورة المائدة آية / ٣٨

[14] سورة يوسف آية /٧٥

[15] سورة الشورى آية /٤٢

[16] سورة النساء آية / ١٤٨

[17] عمدة القارئ شرح صحيح البخاري: ٢٩١/٨

فإذا تكرر مثل هذا الموقف إستسهل الإنسان الوقوع في المحظور وأصيب ببلاده في الإحساس بالذنب وتأمل معي إن شئت قوله عليه السلام (لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن) [١٨]

لأن المفهوم حينئذ فقد القدرة على المقاومة فلم يكن للعقل دور في الفعل وقوله عليه السلام (فإذا شرب الرابعة فاقتلوه) لانه أدمن الخطيئة وضعف إحساسه بالمها فأستطيع أن أقول أن أسباب الظلم أربعة.

١- التعارض بين المفاهيم التي يتلقاها من وحي الله والمفاهيم التي يمليها الشيطان.

٢- تعارض المفاهيم التي يتلقاها الانسان في بيئته بسبب اتساع الهوة بين عناصر البيئة الأبوين الأصدقاء التربية المدرسية الاعلام... الخ.

٣- قوة ضغط الحاجة والضعف عن مقاومة دوافعها.

٤- سوء الرعاية العامة.

موقف الشارع الحكيم من الظلم

ونهى الله سبحانه وتعالى عن جميع أنواع الظلم سواء كان الظلم في نفس أو في مال أو في عرض، في حق مؤمن أو كافر أو فاسق والأخبار عنه بأنه ظلمات يوم القيامة يقول الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) (اتقوا الظلم فان الظلم ظلمات يوم القيامة) فتكون ظلمات على صاحبه لا يهتدي يوم القيامة بين أيديهم وبأيمانهم وقيل: أنه أريد بالظلمات: الشدائد[١٩]. وبه فسر قوله تعالى (قُلْ مَنْ يُنَجِّيكُمْ مِنْ ظُلُمَاتِ الْبَرِّ وَالْبَحْرِ)[٢٠] (أي من شدائدها، وقيل انه كناية عن النكال والعقوبات) [٢١]

المبحث الثاني
عواقب الظالمين في الدنيا

إن في العذاب الذي يصيب الظالمين في الدنيا لعبراً كثيرة فمنها:

قرار عين المظلوم لما يرى انتقام الله من الظالم أمام عينيه.ردعاً للظالمين من أن يحل بهم ما حل بأمثالهم في الدنيا فيرجعوا عن ظلمهم. وفيه كذلك تخويف من أن يسقط آخرون بالظلم كما سقط هؤلاء المعذبون.

ويذكر هنا أن الآيات التي تتحدث عن عذاب الظالمين في الدنيا أكثر بكثير من تلك التي تتحدث عن عذابهم في الآخرة. فما يقرب من أربعين فيها ذكر لعقاب الظالمين في الدنيا. وحوالي عشر آيات فيها ذكر عذابهم في

---

[١٨] سنن ابن ماجة/ للحافظ أبي عبد الله محمد بن يزيد القز ويني ابن ماجة ت ٢٧٥هـ تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي / دار إحياء التراث العربي ٢/كتاب الفتن /باب النهي عن النهية /رقم الحديث:٣٩٣٦.

[١٩] الترغيب والترهيب. للحافظ أبي زكي المنذري (ت ٦٥٦ هـ) تحقيق مصطفى عمارة وطبعه أخرى بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد. ط /٣ /١٩٧٩٠ دار الفكر بيروت. ٣ /١٨٣ . والحديث رواه مسلم باب تحريم الظلم.

[٢٠] سورة الأنعام الآية /٦٣

[٢١] سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للشيخ العلاّمة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني المتوفى سنة /١١٨٢ هجريه صححه وعلق عليه محمد بن عبد العزيز الخولي، دار الجيل، بيروت . لبنان. ٤ / ١٥٦٨.

الآخرة. وهذا دليل على تعجيل عذاب الظالمين في الدنيا قبل الآخرة وهذا مصداق قوله صلى الله عليه وسلم (ما من ذنب أجدر أن يعجل الله عقوبته في الدنيا مع ما يدخر لصاحبه في الآخرة من البغي وقطيعة الرحم) [٢٢] وإن الظلم من الذنوب التي تحدث ألما في نفس المظلوم فلا يشفي غليله إلاّ رؤية انتقام الله له من الظالم. وهذا مما يزيد الإيمان بان الله لا يترك الظالم على ظلمه وانما يمهله حتى إذا أخذه لا يفلته.[٢٣] ودليل على استجابة دعوة المظلوم على الظالم فيرى قدرة الله فيه وعظمته في إهلاك الظالمين التي فيها رحمة للناس.

ونجد أن الآيات قد تحدثت عن مظاهر هذه العواقب على ثلاثة مظاهر.

فالمظهر الأول: تناول مادة العذاب التي عذب بها هؤلاء الظالمون في الدنيا كالرجز من السماء والصيحة والقلب والأمطار بالحجارة وعدم الهداية والنبذ والقصم وقطع الدابر والعذاب البئيس والإغراق.

واما المظهر الثاني: فقد تناول زمان ووقت العذاب الذي حل بهؤلاء الأقوام في الدنيا وهي: وقت القيلولة والضحى وفي الليل وهم نائمون وعلى حين غفلة والبغتة والموعد

واما المظهر الثالث: فقد تناولت الآيات صور المكان الذي حل به العذاب بهؤلاء الأقوام فمنها البيوت الخاوية أو القائم منها والحصيد.

المظهر الأول: مادة العقاب كعاقبة للظالمين في الدنيا:

من هذه العقوبات التي حلت بالظالمين في الدنيا عقوبة إنزال الرجز [٢٤]على الظالمين من السماء، وهذا العذاب كان بحق أقوام طلبو رؤية الله تعالى بعد إذ نجاهم من فرعون وعمله ومن القوم الظالمين، ولم يستطيعوا اللحاق بهم وأهلك عدوهم أمامهم وهم ينظرون وكذلك بعد أن ظلل عليهم الغمام وأنزل عليهم المنّ والسلوى من السماء ومع ذلك كفروا بكل شيء وتعدوا فجاءهم العذاب من السماء.

فبعد هذا كله جاء العذاب ليوافق نوع الظلم المرتكب فجاءهم الرجز من السماء بسبب ظلمهم وهو الفسق الذي كانوا يرتكبونه ويصرون عليه.

فالعذاب النازل من السماء ناسب الظلم الصاعد من الظالمين في الأرض، وبعد أن كانت السماء تظلهم بالغمام وتغدق عليهم المنَّ والسلوى أصبحت هي نفسها تنزل عليهم الرجز والعذاب دليلا على سخطها عليهم بعد ظلمهم وفسقهم.

قال الالوسي: وانزال الرجز من السماء إشعارا بكون ظلمهم وإضرارهم أنفسهم بترك ما يوجب نجاتهم أو وضعهم غير المأمور به موضعه سببا لانزال الرجز وهو العذاب)[٢٥]

---

[٢٢] رواه مسلم في صحيحه كتاب البر والصلة – باب تحريم الظلم ١٩/٨.

[٢٣] الرجز: العذاب: المعجم الوسيط ٣٤٢/١.

[٢٤] روح المعاني للآلوسي ٢٦٧/٣.

[٢٥] القصم: الهلاك. لسان العرب: مادة (قصم)٤٨٦/١٢.

ومن عذاب الظالمين في الدنيا القصم.ومعناه الحطم والهشيم.وهو الهلاك.[٢٦] ومن معانيه كسر الشيء حتى يبين.[٢٧] فالأمم التي قصمت أي هلكت كانت أمم قد اغترت بنفسها وقوتها وأخذت تظلم نفسها وغيرها دون هوادة بعد أن منحها الله تعالى قوة في الجسم وطول في القامة وأتاها المال والمنعة والماء والسيطرة على غيرها من الأقوام والأمم، ومنها قوم عاد وثمود وصالح وقوم فرعون وغيرهم ممن قطع دابره.[٢٨] بالقصم فلم يبق منهم أحد مع ما كانوا فيه من الجبروت والعظمة والعناد والظلم الذي أدى بهم إلى الفناء ولانتهاء.

ومن معاني القصم كما أسلفت الإبانة فإقامة الحجة أظهرت الحق وأبانته كما عرت الباطل بعد أن كسرته وحطمته. فالقصم فيه بيان وظهور الشيء على حقيقته من داخله. فان كان متينا بقي وقام، وان كان هشاً ذهب وانكسر.

ومن تقام عليه الحجة الباهرة فلا يجد ما يقوم به. فيقف منكسراً مبهوتاً لا يستطيع أن يقاوم ولا يستطيع الرد، وانماينتظر نتيجة إنهزامه وتعنته وعدم مطاوعته للحق وهو العذاب الموعود نتيجة ظلمه الذي ارتكبه بعدم اتباع الحق. بل مقاومته ومحاربته.

ومن معاني قطع الدابر والقصم:

الفصل إما بالبصر أو البصيرة كالأعضاء أو البصيرة كالأشياء المعقولة وهؤلاء كذبوا نبيهم وطلبو منه أن يتخذ نفقا في الأرض أو سلما في السماء فطالبوا بمطالب تعجيزية ووصفوا بأنهم لن يسمعوا بعد ذلك شيئاً حيث قال الله تعالى: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ) [٢٩]فلعدم استعدادهم لسماع الحق صاروا بوصف القرآن كالأموات وهم لازالوا على قيد الحياة فلذلك استحقوا قطع الدابر المعنوي أي أنهم على الرغم من وجودهم وحركتهم إلا أنهم – ببعدهم عن الحق وبما هم فيه – اصبحوا مقطوعين عن الحياة الحقيقية على الرغم أنهم أحياء، لأن الحياة الحقيقية هي الإيمان الذي انقطعوا عنه.[٣٠]

وأيضا بالمعنى الآخر وهو الإخفاء عن بكرة أبيهم وفصلهم عن الحياة تماما، لأنهم أصبحوا في عداد الأموات فلا داعي لوجودهم على الأرض البتة ولزم فصلهم عنها، فالظالمون من هذا النوع من العناد والتكذيب [٣١] لما

---

[٢٦] روح المعاني للآلوسي ٢٦٧/٣.

[٢٧] مختار الصحاح صفحة ٢٥

[٢٨] أخذه عن بكرة أبيهم فلم يبق منهم أحد: انظر مختار الصحاح ص ٢٥ ، النهاية في غريب الحديث ١٤/١.

[٢٩] سورة ألأ نعام آية /٣٦.

[٣٠] انظر: تفسير تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان للسعدي / ص ٤٦٨

[٣١] انظر: التحرير والتنوير ١٣١/٧.

[٣١] سورة الأنعام: آية ٤٥.

أهلكوا قال تعالى بعد إهلاكهم: (إِنَّمَا يَسْتَجِيبُ الَّذِينَ يَسْمَعُونَ وَالْمَوْتَى يَبْعَثُهُمْ اللَّهُ ثُمَّ إِلَيْهِ يُرْجَعُونَ)[٣٢] (إيذان بوجوب الحمد عند هلاك الظلمة وأنه من أجل النعم وأجزل القسم) [٣٣]

قال تعالى: (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ) [٣٤]يبين هنا طريقة إهلاكهم وكثرة ما حدث من ذلك من الأمم أنه أ نشأ بعد الهالكين قوما آخرين وأنه حينما أحسوا بأس الله فروا هاربينْ فقيل لهم على ضرب التهكم والسخرية: فلترجعوا إلى ما كنتم فيه من الترف والنعيم إلى تلك المساكن المشيدة والفرش المنجدة فلعلكم تسألون عما جرى عليكم ونزل بأموالكم ومنازلكم فتجيبوا السائل عن علم ومشاهدة، ثم بعد أن يئسوا من الخلاص وأيقنوا بالعذاب، قالوا: هلاكاً لنا إن كنا ظالمين لأنفسنا مستوجبين العذاب بما قدمنا: وما زالوا يكررون هذه الكلمة ويرددونها وجعلوها هجيرهم حتى صاروا كالنبات المحصود والنار الخامدة.[٣٥]

فوافق تلك العظمة والكبرياء هذا العذاب وهذا الكسر والهلاك ، بقطع الدابر.

ومن عواقب الظالمين في الدنيا. العذاب البئيس،والبئيس:من البؤس أي الفقر.وهو من الشدة في الحرب.[٣٦] وبئس شديد.[٣٧]

فنلاحظ أن ما ميز ظلم هؤلاء القوم عن الآخرين هو الفسق.والفسق هو الخروج عن أمر الله تعالى.وقيل: للفارة الفويسقة لكثرة خروجها من بيتها [٣٨]

فوصف الله تعالى إبليس وفعلته النكراء بعدم السجود لآدم بقوله تعالى: (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ)[٣٩] أي خرج عن طاعته. فالمخرج هنا يعاني الفقر والحرمان والخارج أيضا يشهر السلاح بوجهه ويواجهه بالحرب والعذاب الشديد فوافق ظلمهم هذا العقاب الرباني فهو العذاب البئيس بكل معانيه سواء الفقر والحرمان أو الحرب الشديد والموت المحتم مقابل فسقهم وخروجهم عن أمر الله بالظلم الذي ارتكبوه.

ومحصلة القول:إن الظلم بطريقة الفسق يؤدي بالظالمين إلى الحرمان والفقر والحرب بأنواعها سواء بالرزق أو برفع البركة أو قلة الماء أو كثرة الحروب.

ومنه عذابهم بالصيحة،قال تعالى (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ فَأَصْبَحُوا فِي دِيَارِهِمْ جَاثِمِينَ) [٤٠]

والصيحة– كما يذكر الراغب الأصفهاني – هي الصوت المرتفع الذي يؤدي إلى الفزع والإهلاك.[٤١]

---

[٣٢] تفسير الكشاف ٢/٢٤.

[٣٣] سورة الأنبياء آية/ ١١

[٣٤] تفسير ألمراغي: ٢ / ١٥٢.

[٣٥] لسان العرب ٦/٢٠.

[٣٦] مختار الصحاح/ ص١٦

[٣٧] الرازي/ ص ٥٠٣ ، وينظر: المفردات/ ص ٣٨٠

[٣٨] سورة الكهف آية/ ٥٠

[٣٩] سورة هود آية /٦٧

[٤٠] الغريب لابن قتيبة: ٢/٥٣

وقد ذكر أن جبريل – عليه السلام – صاح بهم فدمرهم ويجوز أن يراد بالصيحة:

العقوبة الهائلة [٤٢]

وصاح الزمان بآل برمك صيحة خروا لشدتها على الأذقان [٤٣]

ذكر الصيحة بعذاب قومي صالح ولوط ولكن ذكرت الصيحة بالتأنيث في قوم ثمود (وأخذت) واما قوم لوط فذكر بالتذكير (وأخذ) يقول صاحب نظم الدرر، عن قوله تعالى: (وَأَخَذَ الَّذِينَ ظَلَمُوا الصَّيْحَةُ)[٤٤] أي أوقعوا الظلم ولم يتوبوا (الصيحة) وكأنها كانت دون صيحة ثمود، لأنهم كانوا أضعف منهم فلذلك أبرز علامة التأنيث في هذه دون تلك.[٤٥]

فهذا يبين أن العذاب الشديد بالصيحة الكبرى كان من نصيب الأعظم ظلما والأخرى التي كانت بالتأنيث كانت من نصيب الأضعف فالعذاب بقدر المعصية (وَلا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَداً) [٤٦]

ومن العواقب للظالمين في الدنيا النبذ،والنبذ: هو الإلقاء للشيء وطرحه لقلة الاعتداد به فقد قيل: نبذته نبذ النعل الخلق.[٤٧]

ونبذه ألقاه [٤٨]

فمن هم الذين نبذوا ؟

إنه من ادعى الألوهية ، وقال: ((ما علِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي) ، ومن قال (أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى) ، فهاهو بتكبره وقومه على الله تعالى ، وادعائه الألوهية ، فلقد نبذ هو وقومه نبذ الحذاء الخلق فلم يستطع رد قضاء الله به نتيجة ظلمه وادعائه ما ليس له به ، وتكبره على رب العالمين.

فناسب ذلك العلو تلك الخسة التي القي ونبذ بها هو وقومه من غير اعتداد به ،ثم طرحه في أليم جزاء ظلمه المرتكب هذا.

ويجب التفريق هنا بين نبذ فرعون وقومه – والمقصود منه الانحطاط به وبقومه إلى درجة خسيسة – وبين نبذ سيدنا يونس – عليه السلام – فيما قال الله فيه (لَنُبِذَ بِالْعَرَاءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ)[٤٩]، بمعنى العزل والتنحية فنبذه مكانا

---

[٤١] تفسير أبي السعود: ١٣٥/٦

[٤٢] روح المعاني الالوسي: ٢٣٥/٢.

[٤٣] سورة هود آية /٥٧.

[٤٤] نظم الدرر للبقاعي: ٥٧٢/٣.

[٤٥] سورة الكهف آية/ ٤٩

[٤٦] الفائق ٤٠٠/٣

[٤٧] النهاية في غريب الحديث ٥/٥

[٤٨] سورة القلم آية/ ٤٩

[49] المعجم الوسيط٩٣٢/٢

[50] سورة الأنعام آية/ ١٢٩

أو ناحية اعتزل بعيدا عن القوم وتنحى عنهم .٥٠فشتان بين التنحية من أجل التدبر والتفكر والتربية والإعداد للدعوة وبين النبذ بقصد الطرح والترك والإذلال.

ومن عواقب الظالمين في الدنيا ، أن يُولى عليهم ظالم مثلهم ، قال تعالى: (وَكَذَلِكَ نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) ٥١

والتولية تجيء من الولاء ومن الولاية ، أي نجعل بعضهم أولياء بعض ، ويكون ناظرا إلى قوله: (وَقَالَ أَوْلِيَاؤُهُمْ مِنْ الإِنسِ).

وجعل الفريقين ظالمين، لان الذي يتولى قوما يصير منهم، فإذا جعل الله فريقا أولياء للظالمين فقد جعلهم ظالمين بالإخارة قال تعالى: (وَلا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّار)٥٢

وقال (بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ وَمَنْ يَتَوَلَّهُمْ مِنْكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللَّهَ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)٥٣ يقال: ولي بمعنى جعل وليا فلذلك قال المفسرون: يجوز إن يكون معنى قوله تعالى: (نُوَلِّي بَعْضَ الظَّالِمِينَ بَعْضاً) نجعل بعضهم ولاة على بعض أي نسلط بعضهم على بعض والمعنى أنه جعل الجن وهم ظالمون مسلطين على المشركين والمشركون ظالمون كما هو مقتضى التشبيه في قوله تعالى: (وكذلك)

وقد تشمل الآية بطريقة الإشارة كل ظالم فتدل على أن الله يسلط على الظالم من يظلمه إن لم يقلع الظالم عن ظلمه.

قال الفخر: إن أراد الرعية أن يتخلصوا من أمير ظالم فليتركوا الظلم وقد قيل:

وما من يد إلا يد الله فوقها وما من ظالم إلا سيبلى بأظلم

ومن عواقب الظالمين الذين يوالون أهل الكتاب من اليهود والنصارى عدم هدايتهم، وذلك لأنهم والوا أهل الضلال والتيه والزيغ ففاقد الشيء لا يعطيه ، فكيف يهديك إلى الخير وهو ضال تائه ؟ ! وكيف يدلك على الطريق الصحيح وهو تائه عنها ؟! فمن والآهم،عوقب بعدم الهداية جزاء مولآته لهم (وَاللَّهُ لا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) ٥٤

ومن عواقب الظالمين في الدنيا، الإمطار بالحجارة والقلب ، أي قلب البلد وجعل عاليها سافلها كما حصل مع قوم لوط حيث قلبوا موازين الفطرة الصحيحة وفعلوا فعلة لم يفعلها أحد قبلهم، فلذلك عوقبوا بعقاب لم يعاقب

---

٥١ سورة هود آية/ ١١٣

٥٢ سورة المائدة آية/ ٥١

٥٣ سورة البقرة آية/ ٢٥٨

٥٤ سورة هود آية/ ٦٦

٥٥ تفسير ابن كثير٢/٥٩٦ وانظر: تفسير العز بن عبد السلام/ ٩٩.

الله بمثله قوما قبلهم ، وهو القلب. فعاقبة من يقلب الفطرة التي فطر الله الناس عليها أن يعذب نتيجة ظلمه بالقلب.

وقد جاء في تفسير العز بن عبد السلام لهذه الآية: (فَلَمَّا جَاءَ أَمْرُنَا نَجَّيْنَا صَالِحاً وَالَّذِينَ آمَنُوا مَعَهُ بِرَحْمَةٍ مِنَّا وَمِنْ خِزْيِ يَوْمِئِذٍ إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْقَوِيُّ الْعَزِيزُ) ٥٥

لما جاء الأمر للملائكة بإيقاع العذاب بهم أو القضاء بعذابهم صعد بها جبريل –عليه السلام – على جناحه حتى سمع أهل السماء نباح كلابهم وأصوات دجاجهم ، ثم قلبها وجعل عاليها سافلها ، واتبعها الحجارة حتى أهلكها وما حولها ، وكن خمس قرى ، أعظمهن سدوم أو ثلاث قرى يقال لها سدوم بين المدينة والشام وكان فيها من السكان أربعة آلاف ألف (أربعة ملايين) ٥٦(وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)٥٧

(قال مجاهد: قريشا، ما الحجارة من ظالمي قريش يا محمد ببعيد ، وروي عن النبي صلى الله عليه وسلم قال:(سيكون في آخر الزمان قوم يكتفي رجالهم بالرجال ، ونسائهم بالنساء فإذا كان ذلك فارتقبوا عذاب قوم لوط أن يرسل الله عليهم حجارة من سجيل ثم تلا رسول الله صلى الله عليه وسلم (وَمَا هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ)٥٨ وقيل: ما هذه القرى من الظالمين ببعيد ، وهي بين الشام والمدينة)٥٩

ومن عواقب الظالمين في الدنيا إصابة المقرين للظلم بالعذاب نتيجة سكوتهم ، قال تعالى:

(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ) ٦٠

والفتنة: العذاب ، أي: لا تصيب الذين ظلموا منكم خاصة ولكن تعمكم وهذا كما يحكى أن علماء بني إسرائيل نهوا عن المنكر تحذيرا فعمهم الله بالعذاب.

واعلم أنه تعالى كما حذر الإنسان أن يحال بينه وبين قلبه فكذلك حذره من الفتن والمعنى احذروا فتنة إن نزلت بكم لم تقتصر على الظالمين خاصة بل تتعدى إليكم جميعا وتعم الصالح والطالح. ٦١

المظهر الثاني: الزمان الذي يحل فيه العذاب بالظالمين في الدنيا

إن للعذاب أزمان ذكرت في القرآن الكريم للظالمين في الحياة الدنيا فهل لذلك الزمان الذي حل به العذاب بهم من عبرة أو حكمة ؟ لنرى ذلك قال تعالى: (وَكَمْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتاً أَوْ هُمْ قَائِلُونَ فَمَا كَانَ دَعْوَاهُمْ إِذْ جَاءَهُمْ بَأْسُنَا إِلَّا أَنْ قَالُوا إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) ٦٢

---

٥٦ سورة هود الآية /٦٦

57 وانظر تفسير ابن كثير ٤٥٦/٢

58 نظم الدرر: ٥٦١/٣

59 سورة الأنفال:آية/٢٥

٦٠ تفسير الرازي ١٤٩/١٥ ط ١ الطبعة المصرية ١٩٣٨ م.

61 سورة الأعراف آية/ ٤

62 انظر: قبس نور القرآن الكريم للصابوني ص ١٠.

لماذا العذاب في هذين الوقتين – (بَيَاتاً وَهُمْ نَائِمُونَ):

إن العذاب لما يجيء في الليل والناس نائمون لهو أمعن في عذابهم حيث يخلدون إلى الراحة والنوم الذي يحتاجه الجسم ليعيد نشاطه من جديد فيأتيه العذاب وهو نائم، فهذا إمعان في عذابهم فمجيء العذاب وقت الهدوء والسكون أشق وأفضع لأنه يكون على حين غفلة من المعذبين.

ووقت القيلولة كذلك وقت راحة وخلود إلى الظل والنوم فمجيء العذاب به فيه مشقة وعناء شديدان [٦٣]

وقال تعالى:(أو أمن أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحىً وَهُمْ يَلْعَبُونَ) [٦٤]فلا يظنون أن العذاب ممنوع عنهم وقت النشاط واللعب واللهو ، فمن الممكن أن يأتيهم بهذا الوقت كذلك ، حيث يكونون ساهين لاهين بلعبهم ولهوهم فيباغتهم العذاب، والعذاب يأتي على غفلة ويأتي بغتة ، حيث لااستعداد له ، ويكون بصورة مفاجئة حتى إذا ظنوا انهم ناجون ولاشيء عليهم وأمنوا هذا العقاب ،جاءهم على حين غرة وله موعد عند الله تعالى ، (وَجَعَلْنَا لِمَهْلِكِهِمْ مَوْعِداً) [٦٥]محددا.

قال تعالى (أَفَأَمِنُوا مَكْرَ اللَّهِ فَلا يَأْمَنُ مَكْرَ اللَّهِ إِلاَّ الْقَوْمُ الْخَاسِرُونَ)[٦٦]

فهذه أوقات العذاب الزمانية للظالمين فلا يتناسوا العذاب فهو قادم إليهم وله موعد عند الله،ولكن الله له حكمه في الإمهال ليكون العذاب اليماً شديداً ،قال رسول الله صلى الله عليه وسلم، (إن الله ليملي للظالم حتى إذا آخذه لم يفلته) [٦٧]وربما يؤخر العذاب إلى حين ساعة الموت ، أو إلى يوم القيامة ، فلا يشترط أن يكون العذاب في الدنيا دائما ، ولكن أكثر الظالمين يعجل لهم العذاب في الدنيا وفي الآخرة عذاب اليم.

المظهر الثالث: أماكن الظالمين بعد أخذهم بالعذاب أو الهلاك

صور القرآن الكريم مكان الظالمين بعد عذابهم وإهلاكهم – دورهم وأموالهم وقراهم وأرضهم – ماذا حل بهذه التي تركوها وراءهم لما في ذلك من آيات بينات للخلق الذين يأتون من بعدهم وللناس كافة حتى لا يسيروا مسارهم قال تعالى (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً بِمَا ظَلَمُوا إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَةً لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) [٦٨]

فها هي البيوت التي كانوا يسكنوها ويمارسون الظلم فيها خاوية خالية منهم فلا أحد يسكنها أصبحت خرباً وسكناً للقوارض والحشرات فلينظر الظالمون إليها وليعتبروا مما حل بإخوانهم السابقين إن بقوا على مسارهم في الظلم.

---

[٦٣] سورة الأعراف: آية/ ٩٨.

[٦٤] سورة الكهف: آية/ ٥٩.

[٦٥] سورة الأعراف آية /٩٩.

[٦٦] حديث صحيح أ خرجه البخاري في صحيحه: كتاب التفسير /تفسير سورة هود ٦ / ٩٣-٩٤: ومسلم: كتاب البر والصلة- باب تحريم الظلم ١٩/٨ – وابن ماجة – باب العقوبات (٤٠١٨) ١٣٣٢/٢.

[٦٧] سورة النمل: آية ٥٢

[٦٨] سورة هود آية/ ١٠٠

وكذلك بعض أماكنهم بقيت قائمة بعد هلاكهم، وشاهداً عليهم لما ظلموا فدورهم وآثارهم قائمة ظاهرة للعيان، والبعض الآخر صارت كالحصيد فلا أثر لهم يدل عليهم بعد ما كانوا من العظمة والهيبة والسلطة والجاه بين الأمم والقرى الأخرى، ومع ذلك لم يبق لهم اثر يدل عليهم (حصيد) (منها قائم وحصيد)[٦٩] أين ذهبت الدور وإلى من صارت ؟ قال تعالى: ()وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُمْ مِنْ أَرْضِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ)[٧٠]

فكانت الأرض والمساكن من نصيب من كذبوا وعذبوا على أيدي الظالمين بعد أن أهلكهم الله ، قال تعالى (وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا)[٧١] وقال تعالى: (وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ وَأَوْرَثَنَا الْأَرْضَ نَتَبَوَّأُ مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ فَنِعْمَ أَجْرُ الْعَامِلِينَ)[٧٢]، أيضا هذه وراثة لأرض الظالمين في الجنة.

قال تعالى: (أُوْلَئِكَ هُمْ الْوَارِثُونَ) وهنا أيضا وراثة لما كان معداً للظالمين في الجنة لو كانوا صالحين ، فورث المؤمنون ما كان للكافرين في الغيب والآخرة [٧٣]

فدورهم خراب،وأرضهم موروثة، وإنشاء بعدهم قوماً آخرين حلوا محلهم ، قال تعالى: (وَكَمْ قَصَمْنَا مِنْ قَرْيَةٍ كَانَتْ ظَالِمَةً وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْماً آخَرِينَ)[٧٤]

المبحث الثاني

عواقب الظالمين في الآخرة

قال تعالى: (لَهُمْ مِنْ جَهَنَّمَ مِهَادٌ وَمِنْ فَوْقِهِمْ غَوَاشٍ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الظَّالِمِينَ)[٧٥] ، هذا جزاء من ناموا على حرير وفي أفخم القصور والافرشة الوارفة على حساب ظلم الناس وعلى آلامهم وجراحهم. (أي لهم من نار جهنم فرش من تحتهم ولهم من فوقهم منها لحف تغطيهم، و المراد أنها محيطه بهم مطبقة عليهم) [٧٦]

إن الظالمين لهم عذاب أليم أي وإن الظالمين أنفسهم بشرع ما لم يأذن به الله مما ابتدعوه من التحليل والتحريم لهم عذاب شديد الإيلام في جهنم وبئس المصير، ثم ذكر الله تعالى أحوال أهل العقاب، قال تعالى: (تَرَى

[٦٩] سورة إبراهيم الآيتين/ ١٣ – ١٤

[٧٠] سورة الأعراف آية/ ١٣٧

[٧١] سورة المؤمنون آية/ ١٠

[٧٢] تفسير ابن كثير ٣/٢٤٠

[٧٣] سورة الأنبياء آية/ ١١

[٧٤] سورة الأعراف آية/ ٤١

[٧٥] تفسير المراغي ٢/٣٠٢

[٧٦] سورة الشورى اية٢٢

الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا وَهُوَ وَاقِعٌ بِهِمْ)[٧٧] أي: والظالمين خائفين أشد الخوف مما كسبوا من السيئات وهو واقع بهم لا محالة ، أشفقوا أو لم يشفقوا [٧٨] قال تعالى:(وَنَادَى أَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابَ النَّارِ أَنْ قَدْ وَجَدْنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّاً فَهَلْ وَجَدْتُمْ مَا وَعَدَ رَبُّكُمْ حَقّاً قَالُوا نَعَمْ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)[٧٩]. وإنما قالوا لهم ذلك اعتباطا بحالهم وشماتة بأصحاب النار، وزيادة في غمهم، (فَأَذَّنَ مُؤَذِّنٌ بَيْنَهُمْ أَنْ لَعْنَةُ اللَّهِ عَلَى الظَّالِمِينَ)[٨٠] هو ملك يأمره الله فينادي بينهم نداء يسمع أهل الجنة وأهل النار.

قال تعالى: (وَقُلِ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيَكْفُرْ إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلظَّالِمِينَ نَاراً أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ يَشْوِي الْوُجُوهَ بِئْسَ الشَّرَابُ وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً)[٨١] وهذا هو شرابهم في جهنم وهذا هو الذي استبدلوا به الدنيا بالآخرة وهم في غاية الشوق للشرب وهم بحاجة ماسة إلى الماء – يغاثوا إمعان في عذابهم بماء يشوي الوجه.

فكان بإمكانهم الاستجابة لأمر الله بالإيمان { فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ } ولكنهم استحبوا العمى على الهدى والكفر على الإيمان فبدلا من النعيم الدائم استبدلوه بذلك الجحيم الدائم وها هم يطلقون الصرخات صرخات الاستغاثة ولكن هيهات هيهات فلا مغيث ولا غوث لهم إلا الماء الذي يشوي الوجوه ويحرق الأمعاء[٨٢] فلقد آثروا شراب الدنيا الزائل على شراب الآخرة الدائم.والسرادق الحجرة التي تضيق قال ابن عباس: السرادق، هي حائط من النار[٨٣]. { وَإِنْ يَسْتَغِيثُوا يُغَاثُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ }[٨٤] يقول تعالى ذكره: إن يستغيثوا هؤلاء الظالمون يوم القيامة في النار من شدة ما بهم من العطش يطلبون الماء فيغاثوا بماء المهل. واختلف أهل التأويل في المهل، فقال بعضهم هو كل شيء أذيب وماع.

{ بِئْسَ الشَّرَابُ } هذا هو الذي أعد للظالمين في جهنم الذي صفته في هذه الآية { وَسَاءَتْ مُرْتَفَقاً } يقول تعالى ذكره: وساءت هذه النار التي أعتدناها لهؤلاء الظالمين مرتفقا ، و المرتفق في كلام العرب المتكأ ومرتفقا أي مجتمعا[٨٥].

---

[٧٧] تفسير المراغي ٣١/٤

[٧٨] سورة الأعراف آية/ ٤٤

[٧٩] سورة الأعراف آية/ ٤٤

[٨٠] سورة الكهف آية/ ٢٩

[٨١] انظر: نظم الدرر للبقاعي ٥٣/١٢ ط ١.

[٨٢] تفسير الطبري ٢٣٩/١٥

[٨٣] سورة الكهف آية/ ٢٩.

[٨٤] تفسير الطبري ٢٤١/١٤.

[٨٥] سورة إبراهيم آية/ ٥٢.

قال تعالى { وقال الشيطان لما قضي الأمر إن الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتم وما كان لي عليكم من سلطان إلا أن دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما انتم بمصرخي أني كفرت بما أشركتموني من قبل إن الظالمين لهم عذاب اليم }٨٦هذا هو سبيل من يسير خلف خطوات الشيطان فأنه يستدرج فريسته حتى يوصلها إلى هذا المكان الذي لا خروج منه وهي جهنم وعندها يمعن الشيطان في حربه النفسية على تلك الفريسة ويسوق الأسباب التي أدت بها إلى هذا المكان، ولكن لا فائدة للتلاوم وهو إمعان في العذاب.ونقل صورة من صور العذاب في جهنم الهدف منه التحذير منه والتخويف حتى لا يقع الناس في مثل هذا العذاب ويصلوا إلى ما وصل إليه الظالمون من عذاب أليم.(لما قطع الأمر وفرغ منه وهو الحساب ويغادر الفريقان ودخول أحدهما الجنة ودخول الآخر النار،وروي أن الشيطان يقوم عند ذلك خطيبا في الأشقياء من الجن والأنس فيقول: { إن الله وعدكم وعد الحق } وهو البعث والجزاء على الأعمال فوفى لكم بما وعدكم { ووعدتكم } خلاف ذلك { فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان } من تسلط وقهر على الكفر والمعاصي وألجئكم إليها { الأ أن دعوتكم } إلا بدعائي إياكم إلى ألظلالة بوسوستي وتزييني حيث اغتررتم بي وأطعتموني إذ دعوتكم ولم تطيعوا ربكم إذ دعاكم)٨٧

قال تعالى: { فَالْيَوْمَ لا يَمْلِكُ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ نَفْعاً وَلا ضَرّاً وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ }٨٨لا يقع لكم نفع ممن كنتم ترجون نفعه اليوم من الأنداد والأوثان التي أذخر تم عبادتها لشدائد كم وكربكم، اليوم لا يملكون لكم نفعا ولا ضرا { ونقول للذين ظلموا } وهم المشركون { ذوقوا عذاب النار التي كنتم بها تكذبون } يقال لهم: ذلك تقريعا وتوبيخا.٨٩

وقال تعالى: { إِنَّ الَّذِينَ يَأْكُلُونَ أَمْوَالَ الْيَتَامَى ظُلْماً إِنَّمَا يَأْكُلُونَ فِي بُطُونِهِمْ نَاراً وَسَيَصْلَوْنَ سَعِيراً }٩٠ أي إذا أكلوا أموال اليتامى بلا سبب فإنما يأكلون نارا تأجج في بطونهم يوم القيامة.وثبت في الصحيحين من حديث سليمان بن بلال أن النبي { صلى الله عليه وسلم} قال: { اجتنبوا السبع الموبقات } قيل يا رسول الله وما هن؟ قال: { الشرك بالله ، والسحر ، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق ، وأكل مال اليتيم ، والتولي يوم الزحف ، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات }٩١ وعن أبي سعيد ألخدري رضي الله عنه قال: قلنا يا رسول الله ما رأيت ليلة أسري بك ؟قال: أنطلق بي إلى خلق من خلق الله كثير ، رجال كل رجل له مشفران كمشفري البعير ، وهو موكل بهم رجال يفكون لحاء أحدهم ، ثم يجاء بصخرة من نار فتقذف في فيّ أحدهم حتى تخرج من

---

٨٦ الكشاف للزمخشري ٥١٧/٢

٨٧ سورة سبا آية/ ٤٢

٨٨ تفسير ابن كثير ٧١٩/٣

٨٩ سورة النساء آية/ ١٠

٩٠ صحيح البخاري: ١٠١٧/٣ ، مسلم: ٩٢/١

٩١ انظر تفسير ابن كثير ٤٥٧/١

أسفله، ولهم خوار وصراخ، قلت: يا جبريل من هؤلاء ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا[٩٢].قال تعالى: { الأَخِلاَّءُ يَوْمَئِذٍ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ إِلاَّ الْمُتَّقِينَ }[٩٣] ومن الإخلاء الشياطين، ولا فارق بين شياطين الإنس وشياطين الجن، ومن هؤلاء أبي بن خلف، فقد روي عن عقبة بن أبي معيط كان يكثر مجالسة النبي صلى الله عليه وسلم، فدعاه إلى ضيافته فأبى أن يأكل من طعامه حتى ينطق بالشهادتين ففعل، وكان أبي صديقه فعاتبه وقال له: صبأت، فقال: لا والله ولكن أبي أن يأكل من طعامي وهو في بيتي فاستحييت منه فشهدت له، فقال: لا أرضى منك إلا أن تأتيه فتطأ قفاه وتبزق في وجهه، فوجده ساجدا في دار الندوة ففعل ذلك فقال له النبي صلى الله عليه وسلم، لا ألقاك خارجا من مكة إلا علوت رأسك بالسيف، فأسر يوم بدر فأمر عليا فقتله، وقتل أبي بن خلف بيده الشريفة يوم أحد، طعنه بحربه فوقعت في ترقوته، فلم يخرج منه دم كثير وأحقن الدم في جوفه فجعل يخور كما يخور الثور، فأتى أصحابه حتى احتملوه وهو يخور، فما لبث إلا يوما أو نحوه حتى ذهب إلى النار فأنزل الله الآية { يوم يعض الظالم... }[٩٤]

وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: { لا تصاحب إلا مؤمنا ولا يأكل طعامك إلا تقي }[٩٥] وقال صلى الله عليه وسلم: { مثل الجليس الصالح وجليس السوء كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك وإما أن تبتاع منه وإما أن تجد منه ريحا طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك وإما أن تجد ريحا خبيثة }[٩٦] وقال تعالى: { وَعَنَتْ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْماً } [٩٧]

{ وهكذا يخيم الجلال على الموقف لله، وتغمر الساحة التي لا يحدها البصر، رهبةً وصمتاً وخشوعاً، فالكلام همس، والسؤال تخافت، والخشوع ضاف، والوجوه عانيه وجلال.الحي القيوم يغمر النفوس، الجلال الرزين، ولا شفاعة إلا لمن ارتضى الله قوله، والعلم كله لله وهم لا يحيطون به علما، والظالمون يحملون ظلمهم فيلقون الخيبة، والذين آمنوا مطمئنون لا يخشون ظلما في الحساب ولا هضما لما عملوا من الصالحات، أنه الجلال يغمر الجو كله ويغشاه في حضرة الرحمن }[٩٨] وقال تعالى: { يَوْمَ لا يَنفَعُ الظَّالِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمْ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوءُ الدَّارِ }[٩٩] قال السدي: { بئس المنزل المقيم }[١٠٠]

---

[٩٢] سورة الزخرف آية/ ٦٧

[٩٣] تفسير المراغي: ٧/١٨

[٩٤] أخرجه الإمام أحمد في مسنده:٣٨/٣

[٩٥] البخاري: باب الذبائح / ٣١

[٩٦] سورة طه آية /١١١

[٩٧] في ظلال القرآن:٤ / ٢٣٥٢.

[٩٨] سورة غافر / الآية /٥٢.

[٩٩] تفسير ابن كثير:١٠٥/٤.

[١٠٠] سورة غافر الآية /٥١

فهذا العقاب الذي لا تنفع معه معذرة ولا تقيه وساطة فهو لا محالة واقع على أولئك الظالمين في الآخرة،ولكن سبق الآية نصر عليهم في الدنيا وبعدها عذاب لهم في الآخرة { إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ آمَنُوا فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الأَشْهَادُ }[١٠١]

وقال تعالى: { وَتَرَى الظَّالِمِينَ لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ يَقُولُونَ هَلْ إِلَى مَرَدٍّ مِنْ سَبِيلٍ } [١٠٢]

إن الظالم الضال لا يضع شيئا في موضعه، ولما كان عذابهم حتما، عبر عنه تعالى بالماضي فقال: { لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ } أي المعلوم مصير الظالم إليه رؤية محيطة بظاهره وباطنه، ويتمنون الرجعة إلى الدنيا لتدارك ما فات من الطاعات الموجبة النجاة { يقولون } أي: مكررين مما اعتراهم من الدهش وغلب على قلوبهم: { هل إلى مرد } أي: رد إلى دار العمل وزمانه وهل من مخلص من هذا العذاب { من سبيل }[١٠٣]

(وهم على هذا الحال يخبر عنهم الله عز وجل، حتى لو عادوا لبقوا على الذي هم عليه { ولو ترى إذ وقفوا على النار فقالوا يا ليتنا نرد ولا نكذب بآيات ربنا ونكون من المؤمنين بل بدا لهم ما كانوا يخفون من قبل ولو ردوا لعادوا لما نهوا عنه وإنهم لكاذبون } [١٠٤]) [١٠٥]

الخاتمة

بعد صحبة لاتمل في متعة لا منتهى لحلاوتها مع شيء من آيات القرآن الكريم

المباركة آن لرحلتي أن تنتهي وآن للمداد أن يجف على الورق وقبل أن أحط الرحال لا بد من وقفه قصيرة فيها أضع بين يدي القارئ الكريم حصاد رحلة قصر المس المسافر فيها واتسع الميدان وأنا لمثلي على قلة الزاد وضعف ألخبره وجهد المكدود أن أكون من كتاب الله عز وجل الذي لا تنقضي عجائبه بمكان الناظر المتأمل اللهم اغفر لي خطيئتي وتجاوز عن هفواتي أما الحصاد فعلى قدر همة الحاصد وان تبارك الزرع والثمر.

وقد توصلت إلى النتائج الاتيه:

١- معرفة طبيعة الظلم وأنواعه حيث له أنواع عدة منها ما هو ظاهر ومنها ما هو خفي وكذلك من الظلم ماهو مادي ومنه ما هو معنوي.

٢-من نتائج هذا البحث أن العقوبة التي تحل في الظالم في الدنيا تقر عين المظلوم

---

[١٠١] سورة الشورى الآية/٤٤.

[١٠٢] نظم الدرر للبقاعي: ٦ / ٦٤٤.

[١٠٣] سورة الأنعام الآيتين / ٢٧ – ٢٨.

[١٠٤] تفسير المراغي / ٢ / ٤٨.

[١٠٥] سورة الممتحنة: الآية / ٥.

وتحد من إيغال الظالمين في ظلمهم.

إن الظلم ليعمي بصيرة الظالم حتى يبلد إحساسه بآلام المظلومين فلا يوقفه عن ظلمه شيء من استغاثة المظلوم أو استعطاف مستعطف.

٣- كثيرا ما تنقلب المقاييس في نفوس ألظلمه إلى حد أنهم لا يرون الحق إلا في أفعالهم وكثيرا ما يخطي ظلمهم غيرهم حتى يظلموا أنفسهم. (رَبَّنَا لا تَجْعَلْنَا فِتْنَةً لِلَّذِينَ كَفَرُوا وَاغْفِرْ لَنَا رَبَّنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ) ١٠٦

المصادر والمراجع

١-الأعلام خير الدين الزركلي ،بيروت ط/٣،١٩٦٩ م.

٢-تفسير القرآن العظيم للإمام الجليل الحافظ عماد الدين آبى الفداء إسماعيل إبن كثير القرشي الدمشقي المتوفى سنة ٧٧٤ هجريه، دار الفكر،عمان.

٣-تفسير آبي السعود المسمى إرشاد العقل إلى مزايا القرآن الكريم لقاضي القضاة محمد بن احمد العمادي ت ٩٥٠ هجريه، إشراف محمد عبد اللطيف، مكتبة محمد علي، مصر.

٤-تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، للعلامة الشيخ عبد الرحمن بن ناصر السعدي، عالم الكتب،ط/١، ١٤٠٨ – ١٩٨٨ م، حققه وضبطه ونسقه وصححه محمد زهري النجار.

٥-التحرير والتنوير للأستاذ محمد طاهر إبن عاشور/ الدار التونسية للنشر.

٦-الترغيب والترهيب للحافظ أبى زكي المنذري ت ٦٥٦ هجريه، تحقيق مصطفى عمارة، وطبعه أخرى بتحقيق محمد محي الدين عبد الحميد، ط/٣ سنة ١٩٧٩، دار الفكر،بيروت.

٧-روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني، للعلامة أبي الفضل شهاب الدين السيد محمود الالوسي البغدادي المتوفى سنة ١٢٧ هجريه، مفتي بغداد ومرجع أهل العراق، دار الفكر.

٨-سنن إبن ماجة، للحافظ أبي عبدا لله محمد بن يزيد القز ويني إبن ماجة، ٢٠٧ –٢٧٥ هجريه، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي،دار إحياء التراث العربي.

٩-سبل السلام شرح بلوغ المرام من جمع أدلة الأحكام للشيخ العلامة محمد بن إسماعيل الأمير الصنعاني المتوفى سنة ١١٨٢ هجرية،صححه وعلق عليه محمد بن عبد العزيز الخولي، دار الجيل، بيروت،لبنان.

١٠-صحيح البخاري للإمام محمد بن إسماعيل البخاري ت سنة ٢٥٦ هجريه – بيروت،دار الفكر ١٩٨٦.

١١-صحيح مسلم، مسلم بن الحجاج أبو الحسين القشيري ت ٢٦١ هجرية تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي – بيروت المعاني –لبنان.

١٢-عمدة القارئ شرح صحيح البخاري، بدر الدين بن محمد محمود بن أحمد العيني ت ٨٥٢ هجريه، ط /١، بيروت.
١٣-الغريب لأبن قتيبه، مطبعة العاني،بغداد،١٣٩٧ هجرية.
١٤-في ظلال القرآن – سيد قطب – ط/٧ سنة ١٣٩١ هجرية – ١٩٧١ م، دار إحياء التراث العربي.
١٥-قبس نور القرآن الكريم – محمد علي الصابوني –من هود إلى الرعد.
١٦-الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل أبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي المتوفى- ٤٦٧ – ٥٣٨ هجرية، الطبعة الأخيرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، مصر.
١٧-لسان العرب للأمام العلامة أبي الفضل جمال الدين بن محمد بن مكرم بن منظور – دار صادر – بيروت
١٨-المراغي محمود مصطفى المراغي – دار إحياء التراث العربي – بيروت –، ط / ٢، ١٩٨٥ م.
١٩-المفردات في غريب القرآن لأبي القاسم الحسين بن محمد المعروف الراغب الأصفهاني ت:٥٥٢ هجرية، تحقيق محمد سعيد كيلاني،دار المعرفة، ط /١، ١٣٨٠ هجرية – ١٩٦١ م، الناشر نور محمد.
٢٠-مختار الصحاح محمد بن أبي بكر بن عبد القادر الرازي – ت ٦٦٦ – هجريه، دار الرسالة، الكويت.
٢١-المعجم الوسيط، د – إبراهيم أنيس و – د – عبد الحليم المنتصر وحسن عطية.
٢٢-مسند الإمام أحمد بن حنبل أبو عبدا الله ألشيباني – ت ٢٤١ هجريه، ط / ١، مؤسسة قرطبة، مصر.
٢٣-النهاية في غريب الحديث،لا بن الأثير – المكتبة الاسلاميه، تحقيق طارق الزاوي. ومحمود الطناطي،ط /١
٢٤ – نظم الدرر في تناسب الآيات والسور للإمام برهان الدين أبو الحسن البقاعي – ت-٨٨٥ هجرية تحقيق عبد الرزاق غالب المهدي، دار الكتب العلمية، بيروت.